

الكوابح

محمد صالح المنجد

ساهم في إعداده
الفريق العلمي بمجموعة زاد

ح مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المنجد، محمد صالح
الكوابح/ محمد صالح المنجد - جدة ١٤٣٠ هـ
٦٤ ص، ٢١×١٤ سم
ردمك: ٦-٢٦٧٧-٠٠-٦٠٣-٩٧٨
١- الأخلاق الإسلامية ٢- الآداب الإسلامية أ.العنوان
ديوي: ٢١٣ ١٤٣٠/٦٩٧٦

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م



للنشر

المملكة العربية السعودية

الخبر - هـ: ٨٦٥٥٣٥٥

جدة - هـ: ٦٩٢٩٢٤٢

ص.ب: ١٢٦٣٧١ جدة: ٢١٣٥٢

www.zadgroup.net

مجموعات المنجد

الكوابح



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى خلق النفس وما فيها ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ ٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿[الشمس: ٧ - ٨] وجعل فيها دقائق وأسرار دالة على وحدانيته، من حب وبغض، وغضب ورضا، وإقبال وإدبار، وإقدام وإحجام، وسائر ما يعتري النفس من مشاعر وأحاسيس.

والمسلم يُقبل على الخير ويُججم عن الشر، لاسيما في هذا العصر الذي كثرت فيه الفتن، واستعرت الشهوات، فلا بد أن يكون للمسلم كوابح تكبحه عن الوقوع فيها، وتعينه على الصمود أمامها.

فما الكوابح، وما صورها، وما أسباب ضعفها، وكيف يقوي المسلم كوابحه، هذا ما سنتناوله في هذا الكتيب.

نسأل الله أن يلهمنا رشدنا، ويقينا شر أنفسنا

ما الكوايح؟

تقول العرب: كَبَحَ الدابة يَكْبَحُهَا كَبْحًا: جذبها إليه باللجام لتقف ولا تجري، وفي حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: أَفَاضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ عَرَفَةَ وَأَنَا رَدِيفُهُ، فَجَعَلَ يَكْبَحُ رَاحِلَتَهُ حَتَّى أَنْ ذِفْرَاهَا لِيَكَادُ يُصِيبُ قَادِمَةَ الرَّحْلِ^(١). وتقول: كبحه عن حاجته، إذا رده عنها^(٢).

وقد جعل الله سبحانه وتعالى في النفس البشرية قوتين: قوة إقدام، وقوة إحجام، فقوة الإقدام ينبغي أن تصرف إلى ما ينفع الإنسان في دينه ودنياه، وقوة الإحجام للإمساك عما يضره، والمفترض في نفس المسلم أن تُقبل على الخير وتُحجم عن الشر، وهذا الإحجام كايح يكبح به المسلم نفسه عن الشر.

فالكوايح إذن: هي إحجامات المسلم عن الوقوع في الشر، والمعصية، وسفاسف الأمور.

وكلما اشتدت الكوايح، كان صمود المسلم أمام المغريات والشهوات المحرمة والفتن أقوى؛ فمن الناس من يصبر على مشقة الطاعة، ولا صبر له عن المعصية، ومنهم من لا صبر له على هذا ولا على ذاك، وأفضل الناس أصبرهم على النوعين، فكثير من الناس يصبر على مكابدة قيام الليل في الحر والبرد، وعلى مشقة الصيام، ولا يصبر عن نظرة محرمة، وكثير من الناس يصبر عن النظر، وعن الالتفات إلى الصور، ولا صبر له على الأمر

١ () رواه النسائي (٣٠١٨) وصححه الألباني.

٢ () تهذيب اللغة (٤/٦٨)، لسان العرب (٢/٥٦٨)، تاج العروس (٧/٨٦) مادة: كبح.

بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد الكفار والمنافقين^(١).

قال ابن القيم رحمه الله: مشقة الصبر بحسب قوة الداعي إلى الفعل وسهولته على العبد، فإذا اجتمع في الفعل هذان الأمران كان الصبر عنه أشق شيء على الصابر، وإن فُقدَا معاً سهل الصبر عنه، وإن وُجد أحدهما وفُقد الآخر سهل الصبر من وجه، وصعب من وجه، فمن لا داعي له إلى القتل والسرقة وشرب المسكر وأنواع الفواحش ولا هو سهل عليه فصبره عنه من أيسر شيء عليه وأسهله، ومن اشتد دأعيه إلى ذلك وسهل عليه فعله فصبره عنه أشق شيء عليه، ولهذا كان صبر السلطان عن الظلم، وصبر الشاب عن الفاحشة، والغني عن تناول اللذات والشهوات عند الله بمكان، لذلك استحق السبعة المذكورون في الحديث الذين يظلمهم الله في ظل عرشه لكمال صبرهم ومشقته، فإن صبر الإمام المتسلط على العدل في قسمه وحكمه ورضاه وغضبه، وصبر الشاب على عبادة الله ومخالفة هواه، وصبر الرجل على ملازمة المسجد، وصبر المتصدق على إخفاء الصدقة حتى عن بعضه، وصبر المدعو إلى الفاحشة مع كمال جمال الداعي ومنصبه، وصبر المتحابين في الله على ذلك في حال اجتماعهما وافتراقهما، وصبر الباكي من خشية الله على كتمان ذلك وعدم إظهاره للناس من أشق الصبر.

ولهذا كان الصبر عن معاصي اللسان والفرج من أصعب أنواع الصبر؛ لشدة الداعي إليهما وسهولتهما، فإن معاصي اللسان فاكهة الإنسان كالنميمة،

(١) انظر: عدة الصابرين (١١، ١٠).

والغيبة، والكذب، والمراء، والثناء على النفس تعريضا وتصريحا، وحكاية كلام الناس، والطعن على من يبغضه، ومدح من يحبه ونحو ذلك فتتفق قوة الداعي وتيسر حركة اللسان فيضعف الصبر.

وتجد الرجل يقوم الليل، ويصوم النهار، ويتورع من استناده إلى وسادة تحرير لحظة واحدة، ويُطلق لسانه في الغيبة والنميمة في أعراض الخلق. وكثير ممن تجده يتورع عن الدقائق من الحرام، والقطرة من الخمر، ومثل رأس الإبرة من النجاسة، ولا يبالي بارتكاب الفرج الحرام، كما يُحكى أن رجلا خلا بامرأة أجنبية فلما أراد مواقعتها قال: يا هذه غطى وجهك؛ فإن النظر إلى وجه الأجنبية حرام.

وسأل رجل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن دم البعوض؟ فقال: انظروا إلى هؤلاء يسألوني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ. ثم قال ابن القيم رحمه الله: واتفق لي قريب من هذه الحكاية كنت في حال الإحرام فأتاني قوم من الأعراب المعروفين بقتل النفوس والإغارة على الأموال يسألوني عن قتل المحرم القمل؟ فقلت: يا عجباً لقوم لا يتورعون عن قتل النفس التي حرم الله قتلها، ويسألون عن قتل القملة في الإحرام^(١).

صعوبة الكبح

إن كبح النفس عن الفواحش شديد، والصبر عن الحرام شاق، عن أنس ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»^(١). قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (المراد بالمكاره هنا: ما أُمر المكلف بمجاهدة نفسه فيه فعلاً وتركاً؛ كالإتيان بالعبادات على وجهها، والمحافظة عليها، واجتناب المنهيات قولاً وفعلاً وأُطلق عليها المكاره؛ لمشقتها على العامل وصعوبتها عليه، والمراد بالشهوات ما يستلذ من أمور الدنيا مما منع الشرع من تعاطيه إما بالأصالة، وإما لكون فعله يستلزم ترك شيء من المأمورات فكأنه قال: لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المشقات المعبر عنها بالمكروهات ولا إلى النار إلا بتعاطي الشهوات وهما محجوبتان فمن هتك الحجاب اقتحم)^(٢).

عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ»، قَالَ: «فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ

١ (رواه البخاري (٦٤٨٧) ومسلم (٢٨٢٢) واللفظ له.

٢ (فتح الباري (١١/ ٣٢٠).

إِلَيْهَا. فَذَهَبَ فَظَنَرُ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ ثُمَّ قَالَ: يَا جَبْرِيلُ اذْهَبْ فَأَنْظُرْ إِلَيْهَا. فَذَهَبَ فَظَنَرُ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا»^(١)، أي لوجود المكاره من التكاليف الشاقة، ومخالفة النفس، وكسر الشهوات^(٢).

فكبح النفس وإلجامها بلجام التقوى يحتاج إلى مجاهدة ومصابرة، فعن أبي الدرداء t قال قال رسول الله r: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، مَنْ يَتَحَرَّى الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ»^(٣)، وعن أبي سعيد الخدري t قال قال رسول الله r: «... وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»^(٤).

فقوله: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ» أي فإن الله يقويه ويمكنه من نفسه حتى تنقاد له وتدع عن لتحمل الشدة فعند ذلك يكون الله معه فيظفر بمطلوبه. قال ابن الجوزي رحمه الله: إنما جعل الصبر خير العطاء؛ لأنه حبس النفس عن فعل ما تحبه، وإلزامها بفعل ما تكره في العاجل مما لو فعله أو تركه لتأذى به في الآجل^(٥).

وعلى الإنسان أن يعلم أن الصبر عن الحرام - وإن كان شاقاً - يعقبه لذة

١ () رواه أبو داود (٤٧٤٤) وصححه الألباني.

٢ () تحفة الأحوذى (٢٣٧/٧).

٣ () رواه الطبراني في الأوسط (٢٦٦٣) وحسنه الألباني، وأعله الدارقطني في العلل (٣٢٦/١٠) بالوقف.

٤ () رواه البخاري (١٤٦٩) ومسلم (١٠٥٣) واللفظ للبخاري.

٥ () فتح الباري (٣٠٤/١١).

وراحة يوم الدين كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

أنت في دار شتات فتأهب لشتاتك
واجعل الدنيا كيوم صمته عن شهواتك
وليكن فطرك عند الله في يوم وفاتك^(١)

فالصبر عن الحرام وإن كان فيه غصة في البداية ولكنه أفضل من الغسلين والضرب يوم القيامة.

لا خير فيمن لا يراقب ربه عند الهوى ويخافه إيماناً
حجب التقى سُبُل الهوى فأخو التقى يخشى إذا وافى المعاد هواناً^(٢)

وبعض الناس إذا عرضت عليه رشوة صغيرة مثلاً فقد يحجم عن قبولها، لكن إذا عرضت عليه رشوة كبيرة فإنه لا يتمكن من مقاومة هذا الإغراء.

وما أجمل ما فعله كعب بن مالك عندما رفض ما أقدم له من إغراء: وذلك لما تخلف عن الخروج مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وهجره الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم ... في هذه الأثناء يحكي كعب رضي الله عنه قائلاً: (فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة... قال: فبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له حتى إذا جاءني دفع إليّ كتاباً من ملك غسان، فإذا فيه: أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد

جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضیعة، فالحق بنا نواسك، فقلت لما قرأتها: وهذا أيضا من البلاء، فتممت بها التنور فسجرت به... إلى آخر القصة حتى نزلت الآيات وأتاب الله عليه^(١)، فهذا الثبات أمام المغريات كان سببا لفلاحه وفوزه.

فلدى المؤمن من الإيمان ما يكبح به نفسه عن التفریط في أمر الله، يقول الحسن البصري رحمه الله: (إن المؤمن يفجأ الشيء يعجبه فيقول والله إني لأشتيهك، وإنك لمن حاجتي ولكن والله ما من صلة إليك هيهات هيهات أ حيل بيني وبينك ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول: ماذا أردت إلى هذا؟ مالي ولهذا، والله مالي عذر بها، والله لا أعود لهذا أبداً إن شاء الله)^(٢).

١ () رواه البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩).

٢ () حلية الأولياء (١٥٧/٢).

أسباب ضعف الكوابح

تفاوت الكوابح بين الناس تفاوتاً كبيراً، فمن الناس من تكون كوابحه وإحجاماته عن الشر قوية، ومنهم من تكون كوابحه ضعيفة، ولضعف الكوابح عند المسلم أسباب عديدة، منها:

١. ضعف الإيمان .

الإيمان سلاح المؤمن، وهو الحصن الحصين الذي يقي من الوقوع في مهاوي الرذيلة، وحينما يتعد الإنسان عن الطاعات يضعف إيمانه ويتجرأ على الوقوع في المعصية، ولذلك قال بعضهم: (ثلاثة من أعلام التقوى: ترك الشهوة المذمومة مع الاستمكان منها، والوفاء بالصالحات مع نفور النفس منها، ورد الأمانات إلى أهلها مع الحاجة إليها)^(١)، فهذه الأشياء الثلاثة فعلها يدل على أن في قلب فاعلها إيماناً ودينًا عظيمًا؛ لأنه يجد الحرام أمامه لكنه يتركه لله، ويرغم نفسه على العبادة والطاعة مع نفور النفس منها، ويرد الأمانات إلى أهلها مع الحاجة إليها.

٢. الجهل بالنصوص الشرعية.

العلم بالله أصله الخشية منه سبحانه، والذي يخشى الله يحاذر، فيحاسب نفسه قبل أن يحاسبه ربه، فهو متيقظ غير غافل، يعلم من نفسه ما لا يعلمه غيره منها، فهو يراقب الله دائماً، ويمنع نفسه من كثير مما تهوى، ويلجمها بلجام الشرع لئلا تزل فتغوى، ولعلمه بعاقبة الغضب يملك

(١) حلية الأولياء (٩/٣٩٣).

نفسه، ويروضها على الصبر وتحمل الأذى، وهكذا هو في كل أمر يحذر مغبة التسرع فيه، فيملكه بالتروي، ويتعامل معه بالحكمة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨].

قال ابن جرير رحمه الله: (إنما يخاف الله فيتقي عقابه بطاعته العلماء، بقدرته على ما يشاء من شيء، وأنه يفعل ما يريد؛ لأن من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته، فخافه ورهبه خشية منه أن يعاقبه)^(١).

٣. النقص في تحصين النفس ومجاهدتها.

إن توارد الخواطر السيئة على القلب سبب لركونه إليها، ومن ثم يصبح القلب مريضاً، فليحذر المسلم من الاسترسال مع الخطرات وعدم مجاهدتها ودفعها، فإن الخطرات شأنها صعب، فمبدأ الخير والشر خاطرة، فإذا دافعت الخاطرة من أول الطريق ملكت زمام نفسك وقهرت هواك، وإذا غلبتك خواطر الحرام فإنك ستنتلق في الهاوية.

والنفس لها خواطر رحمانية من الرحمن، وخواطر شيطانية من الشيطان، وخواطر نفسانية من النفس، وكلما كان الإصلاح في مرحلة مبكرة كانت القضية أهون وأسهل، وكلما بادر الإنسان كان الإصلاح أسرع.

٤. ضعف الخشية من الله عز وجل.

خشية الله تعالى والخوف منه صمام الأمان، وهو العاصم للعبد من مواجهة الحرام، والانسحاق وراء الشهوات والمحرمات.

(معاذ الله) قالها يوسف u فأعاده الله، وصرف عنه كيد النسوة، ويقولها

بعض من يستظل بظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، عن أبي هريرة ^r عن النبي قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، وَمِنْهُمْ... وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ»^(١)، إنه الإيمان الصادق بالله تعالى، الذي يثمر لصاحبه خشيته ومراقبته في الغيب والشهادة، وفي السر والعلن.

هذه أبرز الأسباب المؤدية لضعف الكوابح، نسأل الله السلامة منها.

(١) رواه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١).

الكوابح عند المؤمنين

تتعدد الكوابح والإحجامات عند المؤمنين بتعدد الأحداث، فمنهم من يكبح نفسه عن الغضب، ومنهم من يكبحها عن الوقوع في المعاصي، ومنهم من يكبحها عن الطلاق وغير ذلك، وإليك بعضها منها:

كظم الغيظ وكبح جماح النفس عن الانتقام

مدح الله عز وجل المؤمنين بصفات كثيرة، ومنها كظم الغيظ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

فهذه ثلاث صفات عظيمة أولها: كظم الغيظ وإيقافه، والثانية: العفو والصفح مع المقدرة والتمكن، والثالثة وهي أعلاها مرتبة: الإحسان إلى الناس مقابل إساءتهم.

وعن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ الْحُورِ شَاءَ»^(١).

وكان لعلي بن الحسين زين العابدين جارية تسكب عليه الماء في وضوئه، ومرة سقط الإبريق من يدها على وجهه فأصابه، فرفع رأسه إليها فقالت: إن الله يقول: ﴿وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ﴾ فقال: قد كظمت غيظي، قالت: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ فقال: قد عفوت عنك أ قالت: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ

(١) رواه أبو داود (٤٧٧٧)، والترمذي (٢٠٢١) واللفظ له، وحسنه الألباني.

الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾ قال: اذهبي فأنت حرة^(١).

وقد أمر الله تعالى نبيه ٢ بالعتفو والصفح، فقال تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤] قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك.

وعنه أيضا قال: هو الرجل يسب الرجل، فيقول الآخر إن كنت صادقا فغفر الله لي، وإن كنت كاذبا فغفر الله لك^(٢).

وقد كان في أنبياء الله ورسله عليهم السلام الأسوة الحسنة في العفو والمسامحة: فعن ابن مسعود^t قال: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ٢ يَحْكِي نَبِيًّا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَذَمُوهُ، فَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^(٣).

عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ٢ حدثته أنها قالت لرسول الله ٢: يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِهِ فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَلَتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ

١ () رواه البيهقي في الشعب (١٠/ ٥٤٥) ومن طريقه ابن عساکر في تاريخ دمشق (٤١/ ٣٨٦).

٢ () تفسير القرطبي (١٥/ ٣٦١).

٣ () رواه البخاري (٦٩٢٩) ومسلم (١٧٩٢).

قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، قَالَ: فَتَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أَطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ». فقال له رسول الله r: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(١).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (وفي هذا الحديث بيان شفقة النبي r على قومه ومزيد صبره وحلمه وهو موافق لقوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧])^(٢).

وهذا نبي الله يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام يقول لإخوته -وقد عانى ما عاناه بسببهم-: ﴿لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ أَلْيَوْمَ يَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

فالعفو سبب لعلو المنزلة، ورفعة الدرجة وفيه من الطمأنينة والسكينة وشرف النفس وعزها وترفعها ما لا يدركه إلا أصحاب النفوس الكريمة.

علاج الغضب:

لما كان الغضب من رعونات النفس، ومن أسباب تمكن الشيطان منها

١ () رواه البخاري (٣٢٣١) ومسلم (١٧٩٥) واللفظ له.

٢ () فتح الباري (٣١٦/٦).

واستيلائه عليها، كان التعرف على طرق علاجه لازماً؛ لتوقيه وكف شره، فمن ذلك:

١ - معرفة فضل كظم الغيظ.

فمعرفة فضل الشيء مدعاة لطلب تحصيله، عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ الْحُورِ شَاءَ»^(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَكْظَمُ أَجْراً عِنْدَ اللَّهِ، مِنْ جُرْعَةٍ غَيِظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءً وَجْهِ اللَّهِ»^(٢).

٢ - تجنب ما يسبب الغضب ومجاهدة النفس على دفعه.

عن أبي هريرة t أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني. قال: «لا تغضب»، فردد مراراً قال: «لا تغضب»^(٣).

قال ابن رجب رحمه الله: (قوله ﷺ لمن استوصاه لا تغضب يحتمل أمرين: أحدهما: أن يكون مراده الأمر بالأسباب التي توجب حسن الخلق، من الكرم، والسخاء، والحلم، والحياء، والتواضع، والاحتمال، وكف الأذى، والصفح، والعفو، وكظم الغيظ، والطلاقة والبشر، ونحو ذلك من الأخلاق الجميلة، فإن النفس إذا تخلقت بهذه الأخلاق وصارت لها عادة أوجب لها ذلك دفع الغضب عند حصول أسبابه.

والثاني: أن يكون المراد لا تعمل بمقتضى الغضب إذا حصل لك، بل

١ () رواه أبو داود (٤٧٧٧)، والترمذي (٢٠٢١) واللفظ له، وحسنه الألباني.

٢ () رواه ابن ماجه (٤١٨٩) وصححه الألباني.

٣ () رواه البخاري (٦١١٦).

جاهد نفسك على ترك تنفيذه والعمل بما يأمر به^(١).

٣- التعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

فالشيطان أصل كل بلاء، ومادة كل شر، قال تعالى: ﴿وَمَا يَزَعْنَكَ مِنْ

الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]

وعن سليمان بن صُرد t قال: استَبَّ رجلان عند النبي r فجعل أحدهما

تحمّر عيناه، وتنتفخ أوداجه، فقال رسول الله r: «إِنِّي لَأَعْرِفُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا

لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، فقال الرجل: وهل

ترى بي من جنون^(٢).

٤- السكوت حال الغضب وحبس اللسان وإلجامة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله r: «عَلِّمُوا وَيَسِّرُوا

وَلَا تُعَسِّرُوا، وَإِذَا غَضِبْتَ فَاسْكُتْ، وَإِذَا غَضِبْتَ فَاسْكُتْ، وَإِذَا غَضِبْتَ

فَاسْكُتْ»^(٣).

٥- تغيير الهيئة.

عن أبي ذر t قال: إن رسول الله r قال لنا: «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ

فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ»^(٤).

٦- معرفة نتائج الغضب وعواقبه.

فقد يخسر الإنسان أعز ما يملك في لحظة غضب أفكم تسبب الغضب في

١ (جامع العلوم والحكم) (١٤٥).

٢ (رواه البخاري (٦٠٤٨)، ومسلم (٢٦١٠)).

٣ (رواه أحمد (٢٥٥٦) والبخاري في الأدب المفرد (١٣٢٠) وصححه الألباني).

٤ (رواه أبو داود (٤٧٨٢)، وصححه الألباني).

فراق الزوجة، وحرمان الأبناء، وتضييع الحقوق، والاعتداء على الضعفاء والإخوان.

فمتى أدرك العاقل عاقبة الغضب وما يؤدي إليه توقّاه.

معاوية يتذكر الحديث عند الغضب:

عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما: أنه خطب الناس، وقد حبس العطاء شهرين أو ثلاثة، فقال له أبو مسلم: يا معاوية إن هذا المال ليس بمالك، ولا مال أبيك، ولا مال أمك، فأشار معاوية إلى الناس أن امكثوا، ونزل فاغتسل، ثم رجع فقال: أيها الناس، إن أبا مسلم ذكر أن هذا المال ليس بمالي ولا بمال أبي ولا أمي، وصدق أبو مسلم إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الغضب من الشيطان، والشيطان من النار، والماء يطفىء النار، فإذا غضب أحدكم فليغتسل»، أغدوا على عطاياكم على بركة الله عز وجل^(١).

وعن مبارك بن فضالة قال: وفد سوار بن عبد الله في وفد من أهل البصرة إلى أبي جعفر، قال: فكنت عنده إذا أتى برجل فأمر بقتله فقلت يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر، فقلت يا أمير المؤمنين: ألا أحدثك حديثاً سمعته من الحسن؟ قال: وما هو؟ قلت سمعته يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، فيقوم مناد فينادي من له عند الله يد فليقم، فلا يقوم إلا من عفا، فقال: والله لقد سمعته من الحسن؟ فقلت والله لسمعته منه، فقال: خيلنا عنه^(٢).

ذكره بآية من كتاب الله فانتهى عن الظلم:

١ (١) حلية الأولياء (٢/ ١٣٠) وضعفه الألباني.

٢ (٢) إحياء علوم الدين (٣/ ١٨٣).

وروي أن زياداً أخذ رجلاً من الخوارج فأفلت منه، فأخذ أحاً له فقال له: إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك، فقال: أرايت إن جئت بكتاب من أمير المؤمنين تخلي سبيلي؟ قال: نعم، قال: فأنا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم، وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى، ثم تلا ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (٣٧) ﴿أَلَا نَزَرُ وَأَزَرُهُ وَزَرَ آخَرَى﴾ [النجم: ٣٦-٣٨]، فقال زياد: خلوا سبيله، هذا رجل قد لقن حجته^(١).

ومن الكواج الخوف أن ينسب إليه الجبن

لما أخرج أهل مكة خبيبا t لقتله خارج الحرم، قال لهم: ذروني أركع ركعتين، فتركوه فركع ركعتين، ثم قال: لولا أن تظنوا أن ما بي جزع لطولتها^(٢)، فمثل هذا محمود لما يتضمنه من العزة والاستعلاء بأمر الله تعالى. وقال معاوية t: لقد وضعت رجلي في الركاب، وهممت يوم صفين بالهزيمة، فما منعني إلا قول ابن الإطنابة:

وأخذي الحمد بالثمن الريح	أبت لي عفتي وأبى بلائي
وضربي هامة البطل المشيح	وإكراهي على المكروه نفسي
مكانك تحمدي أو تستريحي ^(٣)	وقولي كلما جشأت وجاشت

ولما رجع المتنبي من بلاد فارس قاصداً بغداد ثم الكوفة، عرض له فاتك الأسدي وأصحابه، - وكان المتنبي قد هجا أم فاتك - وكان مع المتنبي جماعة من أصحابه، فقاتلوهم فقتل المتنبي وابنه مُحسداً أو غلامه مُفلحاً ويذكر

١ () الأذكياء لابن الجوزي (٦٦).

٢ () رواه البخاري (٣٠٤٥).

الرواة أن أبا الطيب قاتل قتالا شديدا ولما فرَّ حين رأى الغلبة، قال له غلامه: لا يتحدث الناس عنك بالفرار أبداً وأنت القاتل: فالخيل والليل والبيداء تعرفني والطعن والضرب والقرطاس والقلم فقال: قتلتنى قاتلك الله أفكر راجعاً فطعنه زعيم القوم برمح في عنقه فقتله ثم اجتمعوا عليه فطعنوه بالرماح حتى قتلوه وأخذوا جميع ما معه وكان سبب قتله هذا البيت^(١)، ومثل هذا مذموم وهو فعلُ الجاهلية الأولى.

ومن الكوابح الأدب

عن عبد الله t قال: صليت مع النبي r ليلة فلم يزل قائماً حتى هممت بأمر سوء، قلنا: وما هممت؟ قال: هممت أن أقعد وأذر النبي r^(٢). قال السندي رحمه الله: «قوله (بأمر) أي: غير لائق أن يفعل (أن أجلس) في الصلاة، أو بالخروج منها؛ لثقل القيام لطوله. وكان هذا في صلاة الليل النافلة، وإلا ففي الفرض قد جاء مراعاة المقتدي بأتم وجه»^(٣). قال النووي رحمه الله: (وفيه: أنه ينبغي الأدب مع الأئمة والكبار وألا يخالفوا بفعل ولا قول ما لم يكن حراماً واتفق العلماء على أنه إذا شق على المقتدي في فريضة أو نافلة القيام وعجز عنه جاز له القعود وإنما لم يقعد ابن مسعود t للتأدب مع النبي r)^(٤).

١ (البداية والنهاية (١١/٢٥٧).

٢ (رواه البخاري (١١٣٥) ومسلم (٧٧٣).

٣ (حاشية السندي على ابن ماجه (٢٠٦/٣).

٤ (شرح النووي على مسلم (٦٣/٦).

ومن الكواج مراعاة المكانة وخوف الاقتداء في ما لا يليق

عن موسى بن أعين، قال: قال لي الأوزاعي: يا أبا سعيد كنا نمزح ونضحك، فأما إذا صرنا يُقتدى بنا، ما أرى يسعنا التبسم^(١).

ومن الكواج الوقوف عند حدود الله

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَمْنَعُوا النِّسَاءَ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِاللَّيْلِ» فقال ابن لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: لا ندعهن يخرجن فيتخذنه دغلا - والدغل هو الفساد والخداع والريبة - قال: فزبره ابن عمر وقال: أقول قال رسول الله ﷺ وتقول لا ندعهن^(٢).

وعن نعيم بن مسعود الأشجعي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لهما -أي لرسولي مسيلمة- حين قرأ كتاب مسيلمة ما تقولان أنتما؟ قالا: نقول كما قال، قال: أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما^(٣).

وعن الفضل بن موسى، قال: كان الفضيل شاطراً^(٤) يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس وكان سبب توبته: أنه عشق جارية، فبينما هو يرتقي الجدران إليها سمع تالياً يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] فقال: يا رب قد آن، فرجع، فأواه الليل إلى حربة، فإذا

١ (حلية الأولياء ٦/ ١٤٣).

٢ (رواه مسلم ٤٤٢).

٣ (رواه أبو داود ٢٧٦١).

٤ (يقال: «شَطَرَ» فلان على أهله «يَشْطُرُّ» من باب قتل، إذا ترك موافقتهم وأعيامهم لؤما وخبثا، وهو

«شَايِرٌ» و«الشَّطَارَةُ» اسم منه. المصباح المنير (١٦٣).

فيها رُففة، فقال بعضهم: نرتحل، وقال قوم: حتى نصبح، فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا. فتاب الفضيل وأمنهم. وجاور الحرم حتى مات^(١).

ومن الكواج الورع

عن أنس t قال: مر النبي r بتمرة ساقطة على الأرض فقال: «لَوْ لَا أَنْ تُكُونَ مِنْ صَدَقَةٍ لَأَكَلْتُهَا»^(٢).

ولما وقعت حادثة الإفك، وتكلم المنافقون في الصديقة عائشة رضي الله عنها وتناقل الناس كلامهم أعصم الله أم المؤمنين زينب رضي الله عنها من الولوغ في الحرام، فتقول عائشة رضي الله عنها: «وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ r يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي فَقَالَ: يَا زَيْنَبُ مَا عَلِمْتَ؟ مَا رَأَيْتِ؟ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصْرِي وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي أَفَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ»^(٣).

فرينب رضي الله عنها من ضرائر عائشة رضي الله عنها وهي التي كانت تنافسها وتساميتها عند النبي r تورعت وكبحت جماح شهوة الانتصار والانتقام الذي تمارسه كثير من النساء والضرائر ظلماً وعدواناً. ولا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس، وقال بعضهم: (كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع في الحرام)

١ () تاريخ دمشق (٣٨٢/٤٨).

٢ () رواه البخاري (٢٠٥٥) ومسلم (١٠٧١).

٣ () رواه البخاري (٢٦٦١) ومسلم (٢٧٧٠).

(١)

ومن الكواج الصمت

عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله r: « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » (٢).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (قوله: « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » هذا من جوامع الكلم لأن القول كله إما خير وإما شر وإما آيل إلى أحدهما؛ فدخل في الخير كل مطلوب من الأقوال فرضها وندبها فأذن فيه على اختلاف أنواعه وأدخل فيه ما يؤول إليه أو ما عدا ذلك مما هو شر أو يؤول إلى الشر فأمر عند إرادة الخوض فيه بالصمت) (٣).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله r « مَنْ صَمَتَ نَجَا » (٤).

قال الراغب: الصمت أبلغ من السكوت؛ لأنه قد يُستعمل فيما لا قوة له للنطق وفيما له قوة للنطق ولهذا قيل لما لا نطق له الصامت والمصمت والسكوت يقال لما له نطق فيترك استعماله. فالصمت في الأصل سلامة

١ (ذكره أبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب (٨١٣) فقال: وفي بعض الآثار... فذكره، وذكره ابن القيم في المدارج (٢٥/٢) عن بعض الصحابة - ولا يعرف له إسناد عن أحد من الصحابة فيما نعلم، والذي عند عبد الرزاق (١٤٦٨٣) في مصنفه بسند ضعيف عن عمر t قال: (تركنا تسعة أعشار الحلال مخافة الربا).

٢ (رواه البخاري (٦٠١٨) ومسلم (٤٧).

٣ (فتح الباري (٤٤٦/١٠).

٤ (رواه الترمذي (٢٤٢٥) وصححه الألباني.

لكن قد يجب النطق شرعاً. ومقصود الحديث أن لا يتكلم فيها لا يعنيه ويقتصر على المهم ففيه النجاة^(١).

إن آفات اللسان مهالك ومعاطب، وهي على طريق المتكلم فإن سكت سلم من الكل، وإن نطق وتكلم خاطر بنفسه إلا أن يوافقه لسان صدوق وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة، ويقلل من الكلام فعساه يسلم عند ذلك، وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر، فإن كنت لا تقدر على أن تكون ممن تكلم فغنم، فكن ممن سكت فسلم، فالسلامة إحدى الغنيمتين.

عن عبد الله بن المبارك رحمه الله قال: عجبت من اتفاق الملوك الأربعة كلهم على كلمة، قال كسرى: إذا قلت ندمت وإذا لم أقل لم أندم، وقال قيصر: أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت، وقال ملك الهند: عجبت لمن تكلم بكلمة إن هي رفعت تلك الكلمة ضرته، وإن هي لم ترفع لم تنفعه، وقال ملك الصين: إن تكلمت بكلمة ملكتني وإن لم أتكلم بها ملكتها^(٢).

وقال أمير المؤمنين عمر t: (من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه)^(٣).
فالمسلم إذا علم أن كل كلمة ينطق بها لسانه سوف يحاسب عليها أقل كلامه

١ (تحفة الأحوذى (١٧٢/٧).

٢ (الآداب الشرعية (٦٣/١).

٣ (رواه الطبراني في الأوسط (٢٢٥٩)، والتضاعى في مسند الشهاب (٣٧٤)، والبيهقي في الشعب (٤٦٤٠)، وابن حبان في الروضة (٤٤) اللفظ متقارب، وفيه ضعف وله طرق وهو مشهور عن عمر t.

إلا فيما ينفع، ولذا كان الصحابة رضوان الله عليهم شديدي الحرص على محاسبة أنفسهم فيما تنطق به ألسنتهم، وكان أبو بكر ؓ يأخذ بلسانه ويقول: (هذا الذي أوردني الموارد)^(١).

وعن علقمة عن بلال بن الحارث المزني قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا عَلَيْهِ سَخَطُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، قال: فكان علقمة يقول: كم من كلام قد منعه حديث بلال بن الحارث^(٢).

ومن الكواج معاقبة النفس عند التقصير فهو يعصمها من المعاودة

فاتت ابن عمر رضي الله عنهما صلاة الجماعة فأحيا تلك الليلة كلها^(٣)، وفاتت ابن أبي ربيعة ربعة ركعتا سنة الفجر فأعتق رقبة^(٤). فالنفس لا تستقيم إلا أن تُجاهد وتُحاسب وتُعاقب، ومما يعين على معاقبة النفس أو إرغامها على استدراك النقص؛ التأمل في أخبار المجتهدين.

ومن الكواج الخوف من الآخرة

قال علي بن زيد: أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول فأطرق

١ (رواه مالك في الموطأ (١٨٥٥)، وابن المبارك في الزهد (٣٦٩)، والنسائي في الكبرى (١١٨٤١) والبزار في مسنده (٨٤) وإسناده صحيح.

٢ (رواه أحمد (١٥٨٥٢) والترمذي (٢٣١٩) واللفظ لأحمد، وصححه الألباني.

٣ (حلية الأولياء (٣٠٣/١).

٤ (الزهد لابن المبارك (٥٢٨).

عمر زماناً طويلاً ثم قال: أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان فأناك منك اليوم ما تناله مني غداً، ثم عفا عنه^(١).

ومن الكوابح خشية الانتقام للنفس

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل أغضبه: لولا أنك أغضبتني لعاقبتك^(٢).

ومن الكوابح خشية أن ينسب الإنسان إلى ما لا يليق به

كما في حديث أبي سفيان t مع هرقل، أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام فأتوه وهم بإيلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا لترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نسبا، فقال: أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبتني فكذبوه، قال أبو سفيان: فوالله لولا الحياء من أن يأتروا عليّ كذبا لكذبت عنه^(٣).

ومن الكوابح خوف الوقوع فيما نهى عنه النبي r

١ () شعب الإيمان (٧٩٧١)، تاريخ دمشق (٢٠٥ / ٤٥) ..

٢ () تلييس إبليس (١٣٣) .

٣ () رواه البخاري (٧) ومسلم (١٧٧٣) .

عن قيس قال أتيت خباباً t وقد اكتوى سبعا في بطنه فسمعتة يقول: لولا أن النبي r نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به^(١).

وقال أنس t لولا أني سمعت النبي r يقول: « لَا تَتَمَتَّوْا الْمَوْتَ لَتَمَتَّيْتُ »^(٢).

وعن زينب بنت أبي سلمة قالت: لما جاء نعي أبي سفيان t من الشام دعت أم حبيبة رضي الله عنها بصفرة في اليوم الثالث فمسحت عارضيهما وذراعيهما، وقالت: إني كنت عن هذا لغنية، لولا أني سمعت النبي r يقول: « لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُحَدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ إِلَّا عَلَى زَوْجٍ فَإِنَّهَا تُحَدُّ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا »^(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله r في مرضه الذي لم يقم منه: « لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » لولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أو خشي أن يتخذ مسجداً^(٤).

وعن رفاعه بن شداد القتباني قال: لولا كلمة سمعتها من عمرو بن الحمق الخزاعي لمشيت فيما بين رأس المختار وجسده سمعته يقول: قال رسول الله r: « مَنْ أَمِنَ رَجُلًا عَلَى دَمِهِ فَقَتَلَهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ لَوَاءَ غَدْرِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ »^(٥).

ومن الكواج تقوى الله ومراقبته في السر والعلن

١ () رواه البخاري (٦٣٤٩) ومسلم (٢٦٨١).

٢ () رواه البخاري (٧٢٣٣) ومسلم (٢٦٨٠).

٣ () رواه البخاري (١٢٨٠) ومسلم (١٤٨٦).

٤ () رواه البخاري (١٣٩٠)، ومسلم (٥٣٠).

٥ () رواه ابن ماجه (٢٦٨٨)، وصححه الألباني.

كان عمر بن الخطاب t، يعسُ ليلةً من الليالي ويتتبع أحوال الأمة، وتعب فاتكاً على جدارٍ ليستريح، فإذا امرأة تقولُ لابتنتها: امذقي اللبن بالماء ليكثرَ عند البيع.

فقالت البنت: إن عمرَ أمرَ مناديه أن ينادي أن لا يشابُ اللبن بالماء. فقالت الأم: يا ابنتي قومي فإنك بموضع لا يراك فيه عمرٌ ولا مناديه. فقالت البنت المستشعرة لرقابة الله كلمتها المشهورة: (إن كان عمر لا يرانا فإن رب عمر يرانا)^(١).

ومن الكوابح مراعاة مصلحة المسلمين

قال الفاروق عمر t: لولا آخر المسلمين ما فتحت قرية إلا قسمتها بين أهلها كما قسم النبي r خير^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار يقوم منهم يشربون الخمر فأنكر عليهم من كان معي، فأنكرت عليه وقلت له: إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله، وعن الصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس، وسبى الذرية، وأخذ الأموال، فدعهم^(٣).

ومن الكوابح كراهة الطلاق

١ () رواه الآجري في أخبار عمر بن عبدالعزيز (٤٨)، وابن عساکر في تاريخه (٢٥٣/٧٠) بلفظ: (ما كنت لأطيعه في المأ والأعصية في الخلاء).

٢ () رواه البخاري (٢٣٣٤).

٣ () إعلام الموقعين (٤/٣).

عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله r: « لَا يَفْرُكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ »^(١). أي لا يبغض مؤمن مؤمنة.

قال النووي رحمه الله: (ينبغي أن لا يبغضها؛ لأنه إن وجد فيها خلقاً يُكرهه، وجد فيها خلقاً مرضياً، بأن تكون شرسة الخلق لكنها دينية أو جميلة أو عفيفة أو رفيقة به أو نحو ذلك)^(٢).

فما يراه فيها من صفات حميدة يمنعه من بغضها وكرهاتها، ويغفر لها إساءتها وسوء خلقها مثلاً، ويعلل نفسه بما يعلمه منها من صيانتها لدينها، وصلاتها وصيامها وقيامها، وحسن تربيتها لولدها وغير ذلك.

وعن أنس t: أن النبي r طلق حفصة فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد طلقت حفصة وهي صوامة قوامة وهي زوجتك في الجنة، فراجعها^(٣).

ومن الكواكب وجود الأولاد

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن مغيثاً كان عبداً فقال يا رسول الله اشفع لي إليها - أي إلى بركة زوجته لترجع إلى عصمتها - فقال رسول الله r: « يَا بَرِيرَةُ اتَّقِي اللَّهَ فَإِنَّهُ زَوْجُكَ وَأَبُو وَلَدِكَ »، فقالت يا رسول الله: أَتَأْمُرُنِي بذلك؟ قال: « لَا إِنَّمَا أَنَا شَافِعٌ »^(٤).

فأراد النبي r أن يذكرها بما بينها وبينه مما عسى معه أن تراجع نفسها،

١ () رواه مسلم (٢٦٧٢).

٢ () شرح النووي على مسلم (٥٨/١٠).

٣ () رواه الحاكم (٦٧٥٤) وحسنه الألباني.

٤ () رواه البخاري (٥٢٨٣) وأبو داود (٢٢٣١) واللفظ له.

متسببة بهذا الذي يذكّرُها به، ذكرها أولا بأنه زوجها، ثم ذكرها بالولد الذي رزقها الله منه فإنه يحسن بها أن تنظر في هذا الأمر، بعد أن صار سبب العشرة الأصلي لا أثر له في حياتها.

والخشية من تلك الآثار السيئة تجعل كثيرا من العقلاء الذين كثرت خلافاتهم مع زوجاتهم يتراجعون عن قرار الطلاق، وتجعل أيضا كثيرا من الزوجات الكيسات يصبرن على مرارة العيش وغصصه مع أزواجهن.

أقسام الكوابح

تنقسم الكوابح إلى قسمين، كوابح مانعة من الوقوع في الشهوات، وكوابح مانعة من الوقوع في الشبهات، وبيان ذلك كما يأتي:

القسم الأول: الكوابح المانعة من الشهوات:

كبح النفس عن الوقوع في الشهوات، مطلب أساسي لكل مسلم يريد سلوك الصراط المستقيم بعزيمة ورشد، وإن انتشار الفتن والمغريات في المجتمع، تجعل المسلم يحتاج إلى كوابح يكبحه عن الولوج فيها، والكوابح والإحجامات عن الوقوع في الشهوات كثيرة ومنها:

الخوف من الله

إن الخوف من الله تعالى وخشيته يعصم صاحبه من الوقوع في الحرام ، كما في قصة الثلاثة الذين دخلوا الغار فانحدرت عليه صخرة فسدت، قال أحدهم: « اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمِّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِي فَأَمْتَنَعْتُ مِنِّي، حَتَّى أَلَمْتُ بِهَا سَنَةً مِنَ السَّنِينَ فَجَاءَنِي فَأَعْطَيْتُهَا عَشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي فَأَفْعَلْتُ، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: لَا أَحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَأَفْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ قَلِيلًا... »^(١).

قال الحسن البصري رحمه الله: كانت امرأة بغية قد فاقت أهل عصرها في

الحسن، لا تمكن من نفسها إلا بمائة دينار، وإن رجلاً أبصرها فأعجبته، فذهب فعمل بيديه وعالج فجمع مائة دينار، فجاء فقال: إنك قد أعجبتني فانطلقت فعملت بيدي وعالجت حتى جمعت مائة دينار، فقالت: ادفعها إلى القهرمان حتى ينقدها ويزنها، فلما فعل، قالت: ادخل، وكان لها بيت منجد وسرير من ذهب، فقالت: هلم لك، فلما جلس منها مجلس الخائن تذكر مقامه بين يدي الله، فأخذته رعدة، وطفئت شهوته، فقال: أتركيني لأخرج ولك المائة دينار، فقالت: ما بدا لك! وقد رأيتني كما زعمت فأعجبتك، فذهبت فعالجت وكدحت حتى جمعت مائة دينار، فلما قدرت عليّ فعلت الذي فعلت، فقال: ما حملني على ذلك إلا الفرق - أي الخوف - من الله، وذكرت مقامي بين يديه، قالت: إن كنت صادقاً فإلي زوج غيرك، قال: ذريني لأخرج، قالت: لا، إلا أن تجعل لي عهداً أن تتزوجني، فقال: لا، حتى أخرج، قالت: عليك عهد الله إن أنا أتيتك أن تتزوجني، قال: لعل، فتقنع بثوبه، ثم خرج إلى بلده، وارتحلت المرأة بدنياها نادمة على ما كان منها حتى قدمت بلده، فسألت عن اسمه ومنزله، فدلته عليه، فقيل له: الملكة جاءت بنفسها تسأل عنك، فلما رآها شفق شهقة فمات، فأسقط في يدها، فقالت: أما هذا فقد فاتني، أما له من قريب؟ قيل: بلى أخوه رجل فقير، فقالت: إني أتزوجك حبا لأخيك، قال: فتزوجته، فولدت له سبعة أبناء^(١).

وقال أعرابي: خرجت في ليلة ظلماء فإذا أنا بجارية كأنها علم، فأردتها

فقلت: ويلك أما لك زاجر من عقل، إذ لم يكن لك ناهٍ من دين؟ فقلت: إياها والله ما يرانا إلا الكواكب. فقلت: وأين مكوكبها؟^(١).

الصوم

إن الصيام يحفظ من الوقوع في فاحشة الزنا، ولذلك أرشد النبي ﷺ إلى هذا العلاج، فعن عبد الله بن مسعود t قال: كنا مع النبي ﷺ فقال: «مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: (فأرشدهم إلى الدواء الشافي الذي وضع لهذا الأمر - وهو الزواج-، ثم نقلهم عنه عند العجز إلى البدل، وهو الصوم؛ فإنه يكسر شهوة النفس، ويضيق عليها مجاري الشهوة، فإن هذه الشهوة تقوى بكثرة الغذاء وكيفيته، فكمية الغذاء وكيفيته يزيدان في توليدها، والصوم يضيق عليها ذلك، فيصير بمنزلة وِجَاءِ الفحل، وقَلَّ من أدام الصوم إلا وماتت شهوته أو ضعفت)^(٣).

وعن أبي هريرة t عن النبي ﷺ أنه قال: « الصَّيَّامُ جُنَّةٌ »^(٤)، أي وقاية وستر. فالصيام يقي النفس من انبعاث الشهوة وثورانها، ووقوعها في المحرمات؛ لأن الأكل يقوي الشهوة.

١ () صفة الصفوة (٤/ ٣٩٥).

٢ () رواه البخاري (١٩٠٥) ومسلم (١٤٠٠).

٣ () روضة المحبين (٢١٩).

٤ () رواه البخاري (١٨٩٤) ومسلم (١١٥١).

قال القرطبي رحمه الله: (كلما قلَّ الأكل ضعفت الشهوة، وكلما ضعفت الشهوة قلَّت المعاصي)^(١).

الشهامة والرجولة

قد يترك الإنسان المعصية شهامة ورجولة وذلك عندما يتأمل ما فيها من خِسة ودناءة، كما قال الشاعر:

ما إن دعاني الهوى لفاحشةٍ إلا نهاني الحياء والكرمُ
فلا على فاحشٍ مددت يدي ولا مشت بي لريبة قدمٌ^(٢)

ولما أرادت أم سلمة رضي الله عنها أن تلحق بزوجها أبي سلمة † إلى المدينة، قالت: خرجت أريد زوجي، وما معي أحد من خلق الله حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة، فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أمية؟ فقلت: أريد زوجي بالمدينة. قال: أو ما معك أحد؟! فقلت: لا والله، إلا الله وبني هذا. قال: والله ما لك من مترك.

فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يهوي بي، فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري، فحط عنه، ثم قيده في الشجرة، ثم تنحى عني إلى شجرة، فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله، ثم استأخر عني وقال: اركبي؛ فإذا ركبت، أتى فأخذه بخطامه فقاده حتى

ينزل بي، حتى أقدمني المدينة، ثم انصرف راجعا إلى مكة^(١).

عفة، وشهامة، ونخوة، ورجولة من عثمان بن طلحة، حيث رعى تلك المرأة حتى بلغها زوجها، عفا عنها، فلم يطمع فيها، مع وجود الداعي، من خلوه مكان، وبعده، وقدرة، وغريزة جامحة، وميل لا يخفى.. فما الذي منعه؟

لقد كان عثمان وغيره من العرب في ذلك الزمان يعظمون الحرائر، ويحفظون عفتهم، من باب الرجولة والنخوة، ويفتخرون بمثل ذلك، إذ كان الكف عنهن من مفاخر العرب، كما قال عنتره:

وَأَغْضُ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِي جَارَتِي حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي مَأْوَاهَا^(٢)

وعن أبي أمامة t قال: إن فتى شابا أتى النبي r فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه قالوا مه مه، فقال: ادنه فدنا منه قريبا، قال: فجلس، قال: أتجبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتجبه لابنتك؟ قال: لا والله يارسول الله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتجبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتجبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتجبه لخالتك، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه،

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/٣١٦).

وطهر قلبه، وحصن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء^(١).
وقد يترك العبد فعل المحرم، ويكبح نفسه عن شهواتها، خشية العار
والسمعة السيئة بين الناس، ويقول: لو أني فعلت كذا لعابني الناس
وتنقصوني، وصار لي فيهم المثل السيء، والثناء السيء، وهذا يؤثر على
مكانتي بينهم، ويعاب به أولادي من بعدي، فيُحجم.
وقد ينظر إلى الفعل المشين، وإلى عاقبته وما يؤول إليه في الدنيا، فيخاف
على نفسه أن يصيبه، فيرتدع.

تقول له نفسه: إن الجزاء من جنس العمل وكما تدين تدان. ويسمع الناس
يقولون: الزنا يورث الفقر، ويذهب بنور القلب، ويكسو صاحبه سواد
الوجه، ويوجب المقت بين الناس، وليس بعد مفسدة القتل أعظم من
مفسدته، ولهذا شرع فيه القتل على أشنع الوجوه وأصعبها.
فحين يسمع ذلك وغيره يخشى عاقبة الأمر، فيصرفه ذلك عما كان قد
أضمر، فينصرف خائفاً من خزي الدنيا، فعسى أن يذكره ذلك الخوف
من الله.

الخوف من الأمراض

قد يترك كثير من الناس المعصية، والوقوع في الفاحشة خوفاً من الوقوع
في المرض، ولعل الكثير ممن يتركون الزنا في البلاد الغربية إنما يتركونه لهذا
الدافع.

(١) رواه أحمد (٢١١٨٥) وصححه الألباني.

وفي حادثة طريفة .. شعرت الزوجة أن الخادمة أصبحت ترفع صوتها أمامها، وترفض تنفيذ طلباتها، وعندما تذكر ذلك لزوجها يبادر بالدفاع عنها بأنها مسكينة ومغتربة أثم اكتشفت الزوجة أن زوجها على علاقة محرمة مع الخادمة .. فصبرت .. ولم تمض فترة حتى ذهب الزوج خارج المدينة في رحلة عمل، استغلتها الزوجة لترحيل الخادمة إلى بلادها.

وعندما عاد وسأل عن الخادمة؛ أخبرته أنها رحلتها إلى بلادها بعدما تبين أنها مصابة بمرض الإيدز. وبعد سماع الزوج للخبر انهار وحزن وأصيب بتوتر شديد، ونقص وزنه ٢٠ كغ، وراح يحتضن أولاده والدموع تتساقط من عينيه لاعتقاده أن الموت اقترب منه، وابتعد عن زوجته مخافة أن يعديها.

وما إن شعرت الزوجة أنها شفت غليلها، حتى أخبرته بالقصة كاملة، فاعترف الزوج بخطئه، وطلب من زوجته أن تسامحه، مؤكداً لها بأنه لن يخونها مرة أخرى، وأحسن إليها واستقامت أموره بعد ذلك.

الخوف من الفضيحة

الأصل في المؤمن أنه يترك المعاصي خوفاً من عقاب الله عز وجل ولكن مع ذلك فقد تحدثه نفسه بالمعاصي وقد يضعف مع الوقت وهنا يكون الخوف من الفضيحة رادعاً له عن ارتكاب الرذائل.

فهذا شاب اعتاد الدخول على شبكة الإنترنت للاستفادة من مواقع المفيدة والمشاركة الدعوية في بعض المنتديات ولكن كثيراً ما تحدثه نفسه بدخول

المواقع الإباحية فماذا فعل؟

قام بإخراج الحاسوب من غرفته الخاصة ووضعها في غرفة المعيشة التي يكون فيها ظاهراً أمام والديه وباقي إخوانه وأخواته.

وهنا إذا حدثته نفسه بالدخول على مواقع سيئة فإنه سيمتنع خوفاً من الفضيحة.

ولعل من الكوابح القوية في عصرنا هذا: معرفة أن أي شيء يتم تخزينه في الحاسبات أو الجوال يمكن استرجاعه بسهولة حتى لو تم مسحها فهناك برامج متخصصة لاستعادة المعلومات المحسوبة.

يقول أحد التقنيين الغربيين: "الناس ليسوا مدركين كم هم يكشفون أنفسهم للآخرين عن طريق هذه الجوالات.

وتزداد المسألة خطورة إذا علمنا أن استعادة المعلومات من الحاسبات والجوالات تتم باستخدام برمجيات متخصصة وفي ذات الوقت رخيصة ومتاحة على شبكة الإنترنت.

ولذلك قال أحدهم: من الأفضل أن أدهس الهاتف المحمول بقدمي، أو أضع عليه حامضاً ليفسده بدلاً من أن أبيعته" (١).

ولعل مثل هذه الأشياء تجعل الشباب يجمعون عن تناقل الصور والأفلام الفاضحة خشية الفضيحة والعار.

تأمل أضرار المعاصي

قال يحيى بن معاذ: (من أَرْضَى الجوارح في اللذات فقد غرس لنفسه شجر الندامات)^(١). وقال عبد الصمد الزاهد: (من لم يعلم أن الشهوات فخوخ فهو لعاب)^(٢).

فمعرفة ما في الحرام من المفسد والآلام تضع أمام الإنسان مانعاً قوياً له عن الحرام، ويكفيه في ذلك أن يتأمل فيما حدث لغيره، وما حصل للأقوام السابقة من المفسد والمصائب:

فما الذي أخرج الأبوين من دار النعيم واللذة والسرور إلى دار الآلام والأحزان؟.. إنها المعصية...! وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء وطرده ولعنه ومسح باطنه وظاهره فجعله في أقبح صورة وأبدله بالقرب بعداً وبالرحمة لعنة وبالجنة ناراً تلظى أفهان على الله غاية الهوان أو صار فاسقاً مجرمًا قاد البشرية إلى كل فساد وشر؟.. إنها المعصية...! وما الذي أغرق أهل الأرض جميعهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟..، وما الذي سلط الريح العقيم على قوم عاد حتى ألقته صرعى على سطح الأرض؟..، وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم؟..، وما الذي رفع قرية سدوم.. قرية قوم لوط .. حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم، ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها، وأتبعها بحجارة وجعل مكانها منتناً لا يكاد يوجد فيه حياة؟..، وما الذي أرسل على قوم شعيب عذاب الظلّة، فلما صار فوق رؤوسهم أمطرهم ناراً تلظى؟..، وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر ثم نقلت أرواحهم إلى جهنم تعرض

١ (ذم الهوى (٢٧).

٢ (ذم الهوى (٣١).

عليها صباح مساء؟ فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق، والموعد يوم
القيامة..!

فتأمل ما في الذنوب من الآلام والمصائب؛ يقود إلى التقوى ولو كان فيها
لذة عاجلة.

تَفْنَى اللَّذَازَةُ مِمَّنْ نَالَ صَفْوَتَهَا مِنْ الْحَرَامِ وَيَبْقَى الْإِثْمُ وَالْعَارُ
تَبْقَى عَوَاقِبُ سُوءٍ فِي مَغَبَّتِهَا لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ^(١)

وهذا رجل زنى بامرأة- والعياذ بالله- فحملت منه، وهو في حيرة لا
يدري ماذا يفعل، أيتزوجها ويتعرض للفضيحة بين أهله؟ أم يقتل ما
في بطنها، وهذه جناية أخرى أعظم؟ أم يتركها وولدها ويتشرد الولد؟
وكلها مصائب وآلام وذنوب وحسرات..! فلو تأمل في هذه المفاسد من
قبل، لقاده تأمله بإذن الله إلى ترك الحرام ابتداءً.

وبهذا يتم الحديث عن القسم الأول من أقسام الكوابح، وننتقل لبيان
القسم الثاني.

القسم الثاني: الكوابح المانعة من الشبهات:

هناك مجموعة من الكوابح المانعة من الوقوع في الشبهات المهلكة، لعل من أبرزها ما يلي:

مغالبة الهوى ومدافعة الخطرات

لا بد للإنسان أن يتعلم كيف يغالب هواه ابتداءً من معالجة الخواطر، فإذا جاءت الخاطرة بالمعصية أو بالشر طردها، فمبدأ الأفعال إنها هو من الخواطر.

وأكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وتملكتها فامتألت بالوساوس الداعية إلى الحرام.

قال جرير بن عبيدة: شكوت إلى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال: إنها مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فإن كان فيه شيء عاجلوه وإلا مضوا وتركوه^(١).

ولا يمحو وسوسة الشيطان إلا ذكر الله والاستعاذة به قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وقال مجاهد في قول الله تعالى: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤] هو منبسط على القلب فإذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض، وإذا غفل انبسط

على قلبه^(١).

الانتهاء عن الاسترسال

ورود الخاطر لا يضر وإنما الذي يضر استدعاؤه ومحدثه فألخاطر كالمار على الطريق فإن لم تستدعه وتتركه مرَّ وانصرف عنك وإن استدعيته سحرك بحديثه وخدعه وغروره.

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «إني أحدث نفسي بالحديث لأن آخر من السماء أحب إلي من أن أتكلَّم به قال: ذاك صريح الإيمان»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله وليتته»^(٣).

قال ابن القيم رحمه الله: (وقد خلق الله سبحانه النفس شبيهة بالرحى الدائرة التي لا تسكن، ولا تبقى معطلة أبداً فإن وضع فيها حب طحنته، وإن وضع فيها تراب أو حصى طحنته، فالأفكار التي تجول في النفس بمنزلة الحب الذي يوضع في الرحى، فمن الناس من تطحن رحاه حبا يخرج دقيقا ينفع به نفسه وغيره، وأكثرهم يطحن رملا وحصى وتبنا ونحو ذلك فإذا جاء وقت العجن والخبز تبين له حقيقة طحنه.

فإذا دفعت الخاطر الوارد عليك اندفع عنك ما بعده، وإن قبلته صار فكرا جوالا، ومن المعلوم أن إصلاح الخواطر أسهل من إصلاح الأفكار،

١ (تفسير الطبري (٢٤/٧١٠)، تفسير ابن كثير (٨/٥٤٠).

٢ (رواه مسلم (١٣٢).

٣ (رواه البخاري (٣٢٧٦) ومسلم (١٣٤).

وإصلاح الأفكار أسهل من إصلاح الإرادات، وإصلاح الإرادات أسهل من تدارك فساد العمل، وتداركه أسهل من قطع العوائد، ومن كان في خواطره ومجالات فكره دينيًا خسيسا لم يكن في سائر أمره إلا كذلك. وإياك أن تمكن الشيطان من بيت أفكارك فإنه يفسدها عليك فسادا يصعب تدراكه، ويلقي إليك أنواع الوسوس والأفكار المضرة، وأنت الذي أعنته على نفسك بتمكينه من قلبك وخواطره فملكها عليك.

فمثالك معه مثال صاحب رحي يطحن فيها جيد الحبوب، فأتاه شخص معه حُمْلُ ترابٍ وبعُرٍ وفحمٍ وغلثٍ ليطحنه في طاحونته، فإن طرده ولم يمكنه من إلقاء ما معه في الطاحون استمر على طحن ما ينفعه وإن مكنه من إلقاء ذلك في الطاحون؛ أفسد ما فيها من الحب وخرج الطحين كله فاسدا^(١).

ترك مجالسة أهل البدع

عن أبي قلابة رحمه الله أنه كان يقول: (لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون)^(٢).

وعن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: (لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم، ولا تسمعوا منهم)^(٣).

١ (الفوائد (١٧٤-١٧٥) .

٢ (رواه الدارمي (٣٩١) .

٣ (رواه البيهقي في شعب الإتيان (٩٤٦٧) .

وعن محمد بن سيرين رحمه الله: (أنه دخل عليه رجلان من أهل الأهواء فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث؟ قال: لا، قالوا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله عز وجل؟ قال: لا، لتقومان عني، أو لأقومن) ^(١).

وكتب عيسى بن يونس رحمه الله إلى بعض أصحابه يقول: (لا تجالسوا الجهمية، وبينوا للناس أمرهم كي يعرفوهم، فيحذروهم) ^(٢).

وعن أبي إدريس الخولاني رحمه الله: أنه رأى رجلاً يتكلم في القدر فقام إليه فوطئ بطنه، ثم قال: (إن فلاناً لا يؤمن بالقدر فلا تجالسوه، فخرج الرجل من دمشق إلى حمص) ^(٣).

عدم الفتيا بغير علم

قال ابن القيم رحمه الله: (قد حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء، وجعله من أعظم المحرمات بل جعله في المرتبة العليا منها فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣] ^(٤).

وعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ أَفْتَى بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُهُ عَلَى

١ (رواه الدارمي (٣٩٧).

٢ (نقض الدارمي (١/ ١٤٦).

٣ (الابانة لابن بطة (٢/ ٣٩١).

٤ (إعلام الموقعين (١/ ٣٨).

مَنْ أَفْتَاهُ»^(١)، لهذا وأمثاله كره العلماء التقدم في الفتوى، وآثروا الإحجام، وأصل ذلك الخوف من القول على الله، والكلام في دين الله بغير علم.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله يقول: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(٢).

وقال عبد الرحمن بن أبي ليل عن الصحابة رضي الله عنهم: (كانوا إذا سئل أحدهم عن المسألة ردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول)^(٣).

وقال أبو حصين عثمان بن عاصم التابعي الجليل رحمه الله: (إن أحدهم ليفتي في المسألة ولو وردت على عمر+ لجمع لها أهل بدر)^(٤).

وقال عبد الرزاق عن معمر قال: سأل رجل عمرو بن دينار عن مسألة فلم يجبه، فقال الرجل: إن في نفسي منها شيئاً فأجبنني؟ فقال: إن يكن في نفسك منها مثل أبي قيس أحب إلي أن يكون في نفسي منها مثل الشعرة)^(٥).

وقال ابن مهدي رحمه الله سأل رجل مالك بن أنس رحمه الله عن مسألة فطال ترداده إليه فيها وألح عليه فقال: ما شاء الله يا هذا إني لم أتكلم إلا

١ () رواه أبو داود (٣٦٥٧) وحسنه الألباني.

٢ () رواه البخاري (١٠٠) ومسلم (٤٨٢٨).

٣ () تاريخ بغداد (١٣/ ٤١٢).

٤ () تاريخ دمشق (٣٨/ ٤١١).

٥ () الطبقات الكبرى (٥/ ٤٨٠).

فبما أحسب فيه الخير، ولست أحسن مسألتك هذه^(١).

وقال ابن وهب رحمه الله: (سمعت مالكا يقول: العجلة في الفتوى نوع من الجهل والخرق، وكان يقال التآني من الله، والعجلة من الشيطان)^(٢).

وقال محمد بن المنكدر رحمه الله: (العالم بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل بينهم)^(٣)، وقال يحيى بن سعيد رحمه الله: (كان سعيد بن المسيب لا يكاد يفتي فتيا، ولا يقول شيئا إلا قال: اللهم سلمني وسلم مني)^(٤).

ولا سيما إن كان من يفتي يعلم من نفسه أنه ليس أهلا للفتوى لفوات شرط، أو وجود مانع، ولا يعلم الناس ذلك منه فإنه يحرم عليه إفتاء الناس في هذه الحال بلا شك، والعامل من أحال الفتوى على غيره حين يرى أنه أفدر عليها منه.

قال ابن معين رحمه الله: (الذي يُحَدِّثُ بالبلدة وبها من هو أولى منه بالحديث فهو أحق)^(٥).

وقال مالك رحمه الله: (ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك)^(٦).

وقال ابن عيينة وسحنون رحمهما الله: (أجسر الناس على الفتيا أقلهم علما)

١ () حلية الأولياء (٦/ ٣٢٣).

٢ () الآداب الشرعية (٢/ ٦٥) والجملة الأخيرة وردت عن أنس ؓ أن النبي ﷺ قال: «التَّائِي مِنَ اللَّهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ» رواه البيهقي في سننه (٢٠٧٦٧) وحسنه الألباني.

٣ () الآداب الشرعية (٢/ ٦٦).

٤ () الآداب الشرعية (٢/ ٦٦).

٥ () الآداب الشرعية (٢/ ٦٦).

٦ () الآداب الشرعية (٢/ ٦٦).

(١).

وقال سحنون رحمه الله: (أشقى الناس من باع آخرته بدنياه غيره، وقال: فتنة الجواب بالصواب أشد من فتنة المال) (٢).

وقال سفيان رحمه الله: (أدركت الفقهاء وهم يكرهون أن يجيبوا في المسائل والفتيا حتى لا يجدوا بداً من أن يفتوا، وقال: أعلم الناس بالفتيا أسكتهم عنها، وأجهلهم بها أنطقهم فيها) (٣).

وبكى ربيعة، فقيل ما يبكيك؟ فقال: (استفتي من لا علم له، وظهر في الإسلام أمر عظيم، وقال: ولبعض من يُفتي ههنا أحق بالسجن من السراق) (٤).

وعن أبي موسى قال: (من علمه الله علماً فليعلمه الناس، وإياه أن يقول ما لا علم له به فيصير من المتكلفين، ويمرق من الدين) (٥).

قال ابن القيم رحمه الله: (كان السلف من الصحابة والتابعين يكرهون التسرع في الفتوى، ويود كل واحد منهم أن يكفيه إياها غيره، فإذا رأى أنها قد تعينت عليه بذل اجتهاده في معرفة حكمها من الكتاب والسنة أو قول الخلفاء الراشدين ثم أفتى) (٦).

-
- | | |
|---|----------------------------|
| ١ | () الآداب الشرعية (٦٦/٢). |
| ٢ | () الآداب الشرعية (٦٦/٢). |
| ٣ | () الآداب الشرعية (٦٦/٢). |
| ٤ | () الآداب الشرعية (٦٧/٢). |
| ٥ | () سنن الدارمي (١٧٤). |
| ٦ | () إعلام الموقعين (٣٣/١). |

١٠- ما هي أنواع الكوابح؟

١١- ما هي مكونات الكوابح؟

١٢- ما هي أنواع الكوابح؟

١٣- ما هي مكونات الكوابح؟

١٤- ما هي أنواع الكوابح؟

١٥- ما هي مكونات الكوابح؟

١٦- ما هي أنواع الكوابح؟

١٧- ما هي مكونات الكوابح؟

١٨- ما هي أنواع الكوابح؟

١٩- ما هي مكونات الكوابح؟

٢٠- ما هي أنواع الكوابح؟

٢١- ما هي مكونات الكوابح؟

٢٢- ما هي أنواع الكوابح؟

٢٣- ما هي مكونات الكوابح؟

٢٤- ما هي أنواع الكوابح؟

٢٥- ما هي مكونات الكوابح؟

٢٦- ما هي أنواع الكوابح؟

٢٧- ما هي مكونات الكوابح؟

٢٨- ما هي أنواع الكوابح؟

٢٩- ما هي مكونات الكوابح؟

٣٠- ما هي أنواع الكوابح؟

٣١- ما هي مكونات الكوابح؟

٣٢- ما هي أنواع الكوابح؟

٣٣- ما هي مكونات الكوابح؟

٣٤- ما هي أنواع الكوابح؟

٣٥- ما هي مكونات الكوابح؟

٣٦- ما هي أنواع الكوابح؟

٣٧- ما هي مكونات الكوابح؟

٣٨- ما هي أنواع الكوابح؟

٣٩- ما هي مكونات الكوابح؟

وسائل صناعة وتقوية الكواج

إن الإحجام عن الشر وعن كل ما يضر عبادة جلييلة، وعليها قوام دين المرء، ولذا كان لا بد من الحرص على صناعة الكواج وتقويتها، وذلك من خلال الأمور التالية:

١. تدبر القرآن العظيم: قال الله عز وجل: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

٢. استشعار عظمة الله عز وجل، ومعرفة أسائه وصفاته، والتدبر فيها، وعقل معانيها، واستقرار هذا الشعور في القلب وسريانه إلى الجوارح، لتنطق عن طريق العمل بما وعاه القلب، فهو ملكها وسيدها وهي بمثابة جنوده وأتباعه، فإذا صلح صلحت، وإذا فسد فسدت.

٣. طلب العلم الشرعي: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

٤. لزوم خلق الذكر وهو يؤدي إلى زيادة الإيثار، قال رسول الله ﷺ: « لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ »^(١).

٥. الاكثار من الأعمال الصالحة وملء الوقت بها: وينبغي أن يراعي المسلم في مسألة الأعمال الصالحة أموراً منها:

(١) رواه مسلم (٢٧٠٠).

المسارعة إليها:

لقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١].

الاستمرار عليها:

عن أبي هريرة t قال: قال رسول r إن الله قال: «... وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوَافُلِ حَتَّىٰ أَحْبَبُّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطَيْتُهُ، وَلَكِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»^(١).

الاجتهاد فيها:

قال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَمُونَ ﴿٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ وفي أموالهم حق للسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿الذاريات: ١٧ - ١٩﴾.

٦. تنويع العبادات:

عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله r: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا»، قال أبو بكر t أنا، قال: «فَمَنْ تَبَعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً»، قال أبو بكر t أنا، قال: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا»، قال أبو بكر t أنا، قال: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا»، قال أبو بكر t أنا، فقال رسول الله r: «مَا اجْتَمَعْنَ فِي

امْرِي إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

٧. الإكثار من ذكر الموت:

عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله r: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ يَعْنِي الْمَوْتَ»^(٢).

٨. مناجاة الله والانكسار بين يديه عز وجل:

عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله r: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثَرُوا الدُّعَاءَ»^(٣).

٩. قصر الأمل: قال تعالى: ﴿لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

١٠. التفكير في حقارة الدنيا: قال الله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

١١. تعظيم حرمان الله: يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠].

١٢. محاسبة النفس: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

١٣. الدعاء: وهو من أقوى الأسباب التي ينبغي على العبد أن يبذلها، عن النعمان بن بشير t قال: سمعت النبي r يقول: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»،

١ () رواه مسلم (١٠٢٨).

٢ () رواه الترمذي (٢٤٦٠) وصححه الألباني.

٣ () رواه مسلم (٤٨٢).

ثم قرأ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠] ^(١).

هذه بعض الوسائل المعينة على صناعة الكوابح وتقويتها، نسأل الله أن ينفعنا بها.

الخاتمة

هذه نظرات في موضوع الكواكب ذكرنا فيها معناها، ومسبباتها، وشيئا من صورها، وأقسامها، ووسائل صناعتها وتقويتها.

ويتبين من ذلك أن جماعها مرتبط على مجاهدة النفس، وكبح جماحها عن الشر، ومنعها من كل ما يغضب الله تعالى، فإن العبد ما لم يجاهد نفسه ابتداء ويلزمها فعل ما أمرت به، وترك ما نهيت عنه، لم يمكنه جهاد عدوه الخارجي، ولهذا قال رسول الله ﷺ: (الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ)^(١)، يقول الحسن البصري رحمه الله: (إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه ما أردت بكلمتي، ما أردت بأكلتي، ما أردت بحديث نفسي أفلا تراه إلا يعاتبها، وإن الفاجر يمضي قدماً لا يعاتب نفسه)^(٢).

وليتذكر المسلم أن إثارة الألم العاجل الزائل خير من الوقوع في الألم الدائم حين لقاء الله تعالى.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل بيننا وبين الحرام برزخاً وحجراً محجوراً، وأن يجعلنا من الذين إذا أسأؤوا استغفروا، وإذا أحسنوا استبشروا، وأن يجعل هوانا فيما يحب ويرضى، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

١ () رواه الترمذي (١٦٢١) وصححه الألباني.

٢ () الزهد للإمام أحمد (٢٢٨).

فهرس المحتويات

مقدمة	
ما الكوابح	
صعوبة الكوابح	
أسباب ضعف الكوابح	
الكوابح عند المؤمنين	
أقسام الكوابح	
وسائل صناعة وتقوية الكوابح	
الخاتمة	

(Footnotes)

- ١ () لطائف المعارف (١٤٧).
- ٢ () روضة المحبين (٣٣١).
- 3 () سير أعلام النبلاء (١٤٢ / ٣).
- 4 () بهجة المجالس (١٢٩).
- 5 () العقد الفريد (٢٥٦ / ٢).
- 6 () الآداب الشرعية (٣٣٨ / ٢).

محرم ربيع الأول ١٤٢٩ هـ

